(٣٧)

أنباء

يجب(١) أن يعترف خصوم رئيس الوزراء وأصدقاؤه بأنه رجل جلد ، طويل الحلد ، صبور طويل الصبر ، لا يعنيه يأس ولا أمل

---

(١) ٢٥ ــ ٤ ــ ١٩٣٣ ، عدد ٢٣٧٤

ولا يؤثر فى نفسه قنوط ولا رجاء . وإنما هو الحكم والحكم وحده ، قد أراده فظفر به حتى إذا استقر فيه أقسم ليتعلقن به ما قدرت يده على أن تمسك الأزمة ، وتقبض على الأعنة . فهيا تنحف عليه الدواعى إلى الاستقالة فلن يسمع لها . وهيا تلح عليه البواعث على الاعتزال فلن يحتفل بها !

وقد بر بقسمه فهو قائم فى مكانه لا يبرح ، يفسد كل شىء من حوله فى مصر فلا يجفل ، وينعكس عليه كل شىء فى انجلترا فلا يؤبه . وتأتيه النذر من كل مكان وكأن شيئاً لم يأته ، وكأن نذيرا لم يصل إليه ! لم يكد يستقر فى الحكم حتى حاول المفاوضات فقيل له حتى تمنحك الأمة ثقتها ، وتنصبك معربا عنها ، متحدثا بلسانها .

واجتهد فى أن يظفر بهذه الثقة فلم يجد إليها سبيلا ! فكانت قصة الانتخاب وما أدراك ما قصة الانتخاب ، حتى إذا تهيأت الأسباب واجتمع الشيوخ والنواب ، سعى الرجل إلى المفاوضة ، فأخذ الانجليز يرجئونه من شهر إلى شهر ، ومن عام إلى عام حتى إذا أسرف فى الالحاح ، وأغرق فى الإلحاف ، أرجأوه إلى أجل غير مسمى ، وهم يعتذرون بكثرة العمل عندهم حينا ، وبسوء الحال عندنا حينا آخر . وهم يبينون له فى كل حال وهو يفهم عنهم وكأنه لا يفهم(١) أن ليس إلى المفاوضة معه من سبيل ، لأنه لا يمثل مصر ، ولا يستطيع أن يتحدث عنها ، ولا يستطيع أن يلتزمها إذا التزم ، ولا يستطيع أن يأخذها بتنفيذ ما يقبل من معاهدة ، وإبرام ما يمضى من اتفاق ، ولكن رئيس الوزراء ذكى ماهر ، يفهم وكأنه لم يفهم ، ويسمع وكأنه لم يسمع ! فالإنجليز يرفضون وهو يطلب

---

(١) صرح صدقى باشا لمكاتب صحيفة التيمس البريطانية بأنه سينتهز أقرب فرصة لاستئناف المفاوضات — الأهرام فى ١٥ — ٧ — ١٩٣٠ ؛ وألح فى ذلك طوال مدة حكمه . وعين حافظ عفيفى باشا وزيرا مفوضا فى لندن لهذا الغرض ، ولكن الانجليز رفضوا إجراء مفاوضة معه .

ويستأنف الطلب . والانجليز يأبون وهو يلح ويسرف فى الإلحاح ! وما يزالون فى إبائهم ، وما يزال فى إلحاحه حتى تهن قواه ، وتنقطع به الأسباب . وإذا هو مريض لا يقدر على العمل ولكنه على ذلك يقدر أن يطلب المفاوضات ويجد فى الطلب ، ويصوغ اقتراحات يقدمها إلى المندوب السامى ، ويسافر بها هذا المندوب إلى لندرة ليعرضها على رؤسائه فى وزارة الخارجية . ويلح المقربون إلى رئيس الوزراء عليه فى أن يؤثر نفسه بالصحة والعافية ، ويدع الحكم لمن يستطيع النهوض به ، ولكن بين رئيس الوزراء وبين لندرة أسبابا من الأمل تحمله على ألا يسمع لنصح الناصحين . وعلى أن يبقى فى الحكم لعل اقتراحاته أن تقبل ، ولعله أن يمضى معاهدة مع الانجليز ، ولعله أن يخرج من الحكم مخرجا حسنا ، ولعله أن يسجل فى كتاب استقالته أنه أتم مهمته فأحدث للبلاد نظاما جديدا ، وعقد للبلاد اتفاقا مع الانجليز ، ولكن اقتراحاته ترفض فى لندره وتعلن وزارة الخارجية كما يحدثنا مكاتب الأهرام صباح اليوم أن نبأ المفاوضات(١) مع صدقى باشا لا أصل له مطلقا . ويفسر مكاتب

---

(١) كان بعض الانجليز ، ومنهم المندوب السامى البريطانى فى مصر يرون من الممكن أن تجرى مفاوضات مع إسماعيل صدقى وتعقد معاهدة ، كما فعلت انجلترا مع نورى السعيد فى العراق . وبعضهم عارض الفكرة معارضة شديدة . لأن الجيش الذى رغبت إنجلترا فى إبقائه فى مصر بحجة الدفاع عن قناة السويس لا أثر له فى العراق . ولم تقبل العراق بوجود مستشارين إنجليز فى الوزارات كما أريد من مصر . والعراق ليس لها سودان تطمع فيه انجلترا وتجعله الصخرة التى تتحطم عليها المفاوضات . وليست بها امتيازات أجنبية ومحاكم مختلطة يتطلب الغاؤها مفاوضات دولية شاقة . وهى غير مدينة لأحد فتتخذ إنجلترا من هذا الدين حجة لمراقبة ماليتها. وحتى المطارات التى حصلت إنجلترا على حق استخدامها فى العراق كان يشرف عليها عراقيون .

فمن هنا قويت حجة المعارضين للتفاوض مع إسماعيل صدقى ، وأعلنت إنجلترا أخيراً أن المعاهدة يجب أن يصدق عليها برلمان يمثل الشعب .

الأهرام هذا الإعلان بأن وزارة الخارجية قد رفضت اقتراحات صدقى باشا فى أدب وظرف ، كما تعودت دائماً !

ومن الحق على وزارة الخارجية لصديقها المريض أن ترفق به ، وتعطف عليه ، فلا ترده فى عنف ، وإنما تأبى ما يريد ، وتعلن أن لم تكن بينها وبينه مفاوضات ما . ومهما يكن من شىء فقد فشل رئيس الوزراء فيما كان يريد من مفاوضة الإنجليز للمرة السابعة أو الثامنة ، أو العاشرة إن شئت ! ولم يبق له أمل ما فى أن يعيد الكرة ويستأنف الطلب ، ويأمل فى المستقبل القريب أو البعيد . لأن كل شىء يحول بينه وبين الأمل ، فلم يضعف مركزه السياسى فى مصر كما ضعف فى هذه الأيام وصحته مع الأسف لا تمكنه من أن يحاول تقوية مركزه واسترجاع قوته السياسية .

ند عليه كل شىء ، وأفلت من يده كل شىء ، وأصبح بقاؤه فى الحكم لغوا من اللغو ، وفنا من فنون العبث ! وأكبر الظن أنه إنما يبقى فى الحكم حتى تهيأ الأسباب للذين كانوا يؤيدونه أمس ، لعلهم يجدون من يخلفه اليوم أو غدا .

ومهما يقل أصدقاء رئيس الوزراء ، ومهما تقل أبواقه فلن يستطيع أحد أن يخدع المصريين عن أن بقاء صدقى باشا فى الحكم الآن إنما هو تعلة ليس غير . وقد تبقى هذه التعلة أياما ، وقد تطول أسابيع ، وقد تزول فجأة ، ولكن نزول رئيس الوزراء عن الحكم فى وقت قريب أمر لا بد منه ، ولا مندوحة عنه ، لأنه النتيجة المحتومة الملائمة لطبيعة الأشياء فى مصر وفى بلاد الانجليز .

كل شىء مضطرب حول رئيس الوزراء فى مصر . الشعب منصرف عنه منذ نهض بالحكم ، ولكن انصراف الشعب عنه قد اشتد حتى انتهى إلى أقصاه . وآية ذلك أن وزارته تفزع من كل شىء ، وتعبىء الجيش والشرطة استعدادا لأيسر الأشياء وأقلها خطرا . والانجليز قد نفضوا

أيديهم منه، وأكدوا أنهم لن يفاوضوه ، وأكدوا مرة أخرى أنهم مستعدون للمفاوضة ولكن مع الوزارة التى تمثل مصر ، وتعرب عن إرادتها ، وتتحدث بلسانها ؛ وتعاهد فتنفذ مصر ما عاهدت عليه .

وإذن فأمر الوزارة القائمة مفروغ منه رغم ما ستقوله صحيفة صدق باشا غدا وبعد غد ؛ وإلى أن يتقدم رئيس الوزراء باستقالته إلى صاحب الجلالة الملك . وكل يوم من الأيام المقبلة خليق أن يغلق فيه باب ، ويفتح فيه باب آخر ، وأن تطوى فيه صفحة وتنشر فيه صفحة أخرى . وسيودع المصريون غدا أو بعد غد وزارة أذاقتهم ألوان الألم وصروف المحن . وسيذكرون وسينسون ، ولكنهم على كل حال سيطوون صفحة أمس ، وسينظرون فى صفحة غد . سيودعون عهدا ويستقبلون عهدا آخر . وإذا كان التذكير ينفع فان التحذير ليس أقل منه نفعا .

وأكبر الظن أن هذا النبأ الذى أذاعته الأهرام صباح اليوم سيوقظ آمالا نائمة ، ويجدد نشاطا قد فتر بعض الشىء وستهيأ الأحلام وتأخذ زينتها ، وتتشكل بأشكال مختلفة أشد الاختلاف ، ولكنها مغرية أشد الإغراء على كل حال . وستلم هذه الأحلام ببعض البيئات وستتراءى هذه الأحلام لبعض النفوس ، وسيتهيأ قوم للوزارة وإن لم تسع إليهم بعد . وسيستعد قوم للحكم وإن لم يدعهم الحكم إليه بعد . وستكثر الأحاديث ، وسيشتد الجدال .

فمن الحق أن نذكر المصريين ، ومن الحق أن نحذرهم ، ومن الحق على المصريين أن يحذروا ، فمهما يكن ضيقهم بالوزارة القائمة شديدا ، ومهما يكن احتمالهم للوزارة القائمة ثقيلا ، فان من الحق عليهم لأنفسهم ألا يتعجلوا زوال الشر ليقعوا فى شر آخر قد يكون أشد منه نكرا ، وأقبح منه أثرا . وخير لهم أن تطول المحنة على ما هى فيه من ضعف ووهن واضطراب من أن يخيل إليهم أنها زالت فاذا هى تتجدد ، وأنها انجلت فاذا هى تستأنف نشاطها قويا عنيفا .

يجب أن يذكر المصريون ماذا ينكرون من وزارة صدقى باشا ، ويجب أن يعرفوا ماذا يريدون حين يتمنون أن تستقيل هذه الوزارة ، فهم ينكرون تغيير الوزارة القائمة للدستور، وهم يريدون أن يعود إليهم هذا الدستور . وهم ينكرون بطش الوزارة القائمة بالحرية ، ولسنا نريد حرية الأفراد وحدها ، وإنما نريد حرية الأمة كلها . نريد الحرية البرلمانية ، نريد الحياة النيابية كلها . وهم يريدون أن ترفع عن الحرية هذه الأغلال والقيود ، وأن تعود حياتهم السياسية كما كانت يوم نهض رئيس الوزراء فألف وزارته .

يجب أن يذكر المصريون هذا كله ، وألا يخدعهم عنه الأمل فى زوال المحنة ، وألا تلهيهم عنه الأحاديث والأمانى . هذه الأهرام قد عادت تذيع تفكير الإنجليز فى الوزارة القومية ، وأخذت تتحدث عنها ، وتعلن أنها لا تريد منذ الآن أن تدعو إليها لأنها مع إيمانها بأنها ضرورة من ضرورات الحياة المصرية الآن ، تكره تزيينها والترغيب فيها بعد أن دعت إلى ذلك فساءت بها الظنون . وهذا نوع من الدعوة إلى الوزارة القومية ، فيه شىء من المهارة واللباقة ، وفيه شىء من الاحتياط والاستحياء . ومن المحقق أن صحفا أخرى ستذكر الوزارة القومية ، وستدعو إليها وستلح فى ذكرها والدعوة إليها . ومن المحقق أن أحدا لن يرفض هذه الوزارة القومية ، ولكن بشرط أن تكون نتيجة لإرادة الأمة حرة طليقة ، لا شرطا يمليه الانجليز لتغيير الموقف السياسى الذى نحن فيه .

لن يرفض أحد فكرة الوزارة القومية إذا استفتيت فيها الأمة فأفتت بها ، وإذا دعيت إليها الأمة فأجابت إليها . فأما أن تملى هذه الوزارة القومية على الأمة إملاء من ناحية من النواحى ، أو ناد من الأندية ، أو من حزب من الأحزاب فلن يبسم لها أحد ، ولن يستجيب لها أحد ، ولن يقبل عليها إلا الذين يفكرون فيها ويدعون إليها .

يجب أن يذكر المصريون أنهم ليسوا هم الذين أنشأوا هذه الأزمة السياسية القائمة ، وإنما أنشأها غيرهم ، فيجب على من أنشأها أن يحلها ، وليس لها حل إلا أن ترد الأمور كما كانت يوم نهض صدقى باشا بأعباء الحكم . هنالك وهنالك فحسب يمكن أن تستشار مصر فى الوزارة القومية ، وأن يجرى الأمر فى هذه الوزارة القومية على حكم الدستور ، لا على شىء آخر .

نظن أنه ليس فى هذا الكلام لبس ولا غموض ، ونعتقد اعتقادا لا سبيل إلى الشك فيه أنه يصور تصويرا صادقا رأى كثرة المصريين الذين سيرد إليهم الأمر كله اليوم أو غداً .